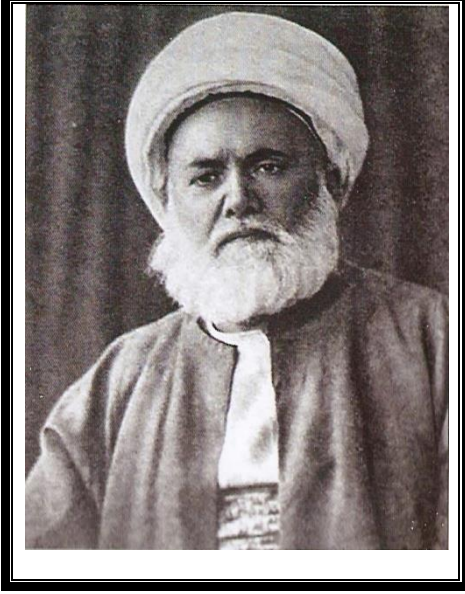


الشيخ عبد المحسن الكاظمي

١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ

١٨٦٥ - ١٩٣٥ م



الشيخ عبد المحسن بن الحاج محمد بن
الحاج علي بن الحاج محسن^(١) بن محمد بن
صالح بن علي بن الهادي النخعي،
الكاظمي. المكنى بأبي المكارم، الملقب
بشاعر العرب.

ولد يوم ١٥ شعبان سنة ١٢٨٢ هـ،
ونشأ في الكاظمية. وتعلم مبادئ القراءة
والكتابة. حدّث هو عن حياته ما ملخصه:

أخذني أهلي في طفولتي إلى الكتاب، انتقلت من عنده إلى معلم إيراني يعلمني
الفارسية، لأن أبي تاجر، ولتجار العراق صلات وثقى بإيران والأفغان والهند،
والمكاتبة التجارية بهذا اللسان، فدرست عنده ستة أشهر، ثم قصدت إلى مدرس
عربي، لم أثار على التعلم عنده طويلاً.

أما كيف هوى العلم والأدب، وأبوه يتعاطى التجارة، فيقول أنه رأى تكريماً
عظيماً لرجل في مجلس جده فسأل من يكون؟ فأجيب بأنه عالم، فعلقته نفسه بالعلم
والأدب، ومال عن تجارة أبيه، وقد أعانه أخوه محمد حسين على المسلك الأدبي،
وكان أخوه يقول الشعر، وأكثر ما انساق إلى كتب الأدب. وقد بدأ يقول الشعر في
السادسة عشرة من سنه. ولم يفد مع الفتى الموهوب إغراء أبيه بالتجارة، ولا أفلح
صرفه إياه عن تعاطي صناعة لا سوق لها. ثم عالج زمنا الزراعة، حتى إذا باء
بالفشل تاجراً ومزارعاً انكفا إلى كتبه ودفاتره، وانكب على القراءة والكتابة والنظم.

وهيأت له الأيام شاعراً كبيراً انتجع الكاظمية مستروحاً، هو السيد إبراهيم
الطباطبائي النجفي، فتتلمذ عليه، وأخذ عنه، وحاكاه في سرعة البديهة. وانهمك في
حفظ الشعر العربي القديم، وأسعفته حافظته فوعى أكثر من اثني عشر ألف بيت من
مختار القصيد.

^(١) وهو أول من استوطن الكاظمية من أبناء هذه الأسرة في أواخر القرن الثاني عشر الهجري. ويُعد في طليعة التجار المعاصرين
له تقوى وكرماً، ومراعاة للفقراء والمساكين. وكانت الأسرة تحترف التجارة بالجلود، فلقت بـ (البوست فروش) أي بائع الجلود.

ولما وفد السيد جمال الدين الأفغاني على العراق - منفياً من إيران - تعرف الكاظمي به ولازمه، وأخذ عنه طرفاً من العلوم، وتوجيهها في التفكير، واعتنق مبادئه. ثم نفي الأفغاني من العراق، ولاحقت النقمة من كان يلوذ به من شباب الجيل. ولئلا يقع في الفخ تسلل إلى البصرة، وجنح إلى (بوشهر) عدة أشهر، ثم عاد إلى بغداد، وبعدها رحل ثانية إلى إيران عام ١٨٩٧م، وشخص إلى الهند، وتوجه إلى مصر على أن يبرحها إلى إسطنبول، ثم يرجع إلى مسقط رأسه. وفي مصر مرض، فقعد عن السفر، وكُتب له أن يتوطنها إلى بقية عمره. وقد ضعف بصره، وكاد أن يفقده في أخريات أيامه.

قدم عبد المحسن الكاظمي مصر أديباً مكتمل الأداة، وشاعراً جيد النظم، في شعره رصانة، وفي بدايته مثار إعجاب وإكبار. وفي مصر اتصل اتصالاً وثيقاً بالشيخ محمد عبده.

وقد كانت حياته في مصر حياة ضيق مالي شديد، فعاش في ضنك يستره إباء وشمم، ورغم ذلك فان منزلته الاجتماعية لم يمسه إعاوزه المال. ومن بدء إذاعة الصحف المصرية شعره، استحسنته الناس، واستجاده الأدباء، وأفسح لقائله مجال الاتصال بأعيان البيان، فانعقدت أواصر الصداقة بينه وبين البارودي وحافظ ومطران، وهم في الرعيل الأول بين فرسان البلاغة، كما أن بين كبار الأدباء المصريين من أعجب به. وأفاد منه كثيراً في مقدمتهم مصطفى صادق الرافعي، وإن مزاياه الشعرية بميزان ذلك الطور رفعتة إلى مقام عال، فعدوه في الطبقة الأولى بين الشعراء. ونعت بشاعر العرب، وظل قرابة خمسين سنة ينشد الجزل الرقيق، ويتناقل شعره الرواة مستجيدين.

من آثاره: ديوان شعر، والبيان الصادق في كشف الحقائق، وتنبيه الغافلين، ومعلقات الكاظمي.

تزوج عام ١٩١٥م فتاة مصرية، وهي عائشة محمود التونسي، فما خلف غير السيدة رباب، التي كان يحبها حباً جماً، وقال فيها شعراً رقيقاً. توفي في القاهرة يوم الخميس ٢ أيار سنة ١٩٣٥م، الموافق ٢٧ محرم سنة ١٣٥٤هـ، ودفن فيها. ثم شُيِّد له ضريحاً لائقاً في مقبرة الإمام الشافعي في العاصمة المصرية، نقلت رفاته إليه في حفل يوم ١ مايو سنة ١٩٤٧م^(٢).

^(٢) من مصادر الدراسة: الأعلام: ١٥٢/٤-١٥٣، أعيان الشيعة: ٩٣/٨، شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي: حياته وشعره، الطليعة: ٥٣٣/١-٥٣٥، الكاظمي شاعر العرب، معجم البابطين، معجم المؤلفين: ١٧٣/٦، نباء البشر: ٣/١٢٢٩-

قال الشيخ علي البازي مؤرخاً وفاته^(٣):

أوحى إلي الفكر لما أتى من مصر نعي الناثر الناظم
فقد قوافي الشعر (مهيارها) تاريخ: "فقدي محسن الكاظمي"

شعره:

له ديوان يحمل إسمه، صدر في عدة مجموعات هي: ديوان (الكاظمي شاعر العرب): المجموعة الأولى دمشق ١٩٤٠م، ثم المجموعة الثانية القاهرة ١٩٤٨م، ثم ديوان (عبدالمحسن الكاظمي): المجموعة الثالثة والرابعة بغداد ١٩٨٧م.

كما نُشرت مختارات عدة من قصائده، مثل: قصائد الكاظمي التي أنشدت في جلسات حزب الاتحاد السوري بمصر - معلقات الكاظمي في سعد زغلول - عراقيات الكاظمي - من شعر الكاظمي، ونشرت صحيفة (المؤيد) المصرية عدداً كبيراً من قصائده، كما نشرت له صحف أخرى في مصر وخارجها.

ورد في معجم البابطين: "شعره دعوة للحرية، وتمجيد لقيم العروبة. وله شعر في الرثاء، كما كتب في المناسبات. وهو في رثائه ومناسباته يعبر عن اعتزازه بقيادة الأمة ومفكراتها. إضافة إلى شعر له ذاتي يعبر من خلاله عن رؤيته للحياة والناس. ساير أسلافه من الشعراء في مناجاة الطفل والديار الدوارس، وهو في كل هذا شاعر تقليدي، يتميز بقوة عبارته، وسلامة تراكيبه، وحدة خياله. حافظ على النهج الخليفي في النظم، وجارى شعراء عصره في فرادة الموهبة، وغازاة الإنتاج، ومواكبة التطور، والعناية باللغة، وطول النفس، وتمكن القوافي.

قال بعنوان (الحرية):

مهما تباعد فهو منك قريبُ
فإذا تباعدَ فالحيب مُبْعَضُ
لا فرقَ بين المشرقين سوى الذي
كالشمس ما بين الأنام مشاعةُ
كم قَرَّبَ القوم اللئام وباعدوا
حتى استوى التباعد والتقريبُ
لا يصدقون وكيف يصدق طامعُ
يُصغي إلى داعي النفاق كذوبُ
ليس الهوى من كل صِبٍّ واحداً
إن الهوى للعاشقين ضُروبُ
هيئات يُصبيني سوى حريّةٍ
يصبو الشباب لذكرها والشيبُ

(٣) مجلة البيان العدد ٤٤ - السنة الثانية، ١ نيسان ١٩٤٨/٢٠ جمادى الثانية ١٣٦٧، ص ١١٧٤.

يكفي جمالك أنت فيه يوسف
في كل يوم حفلة لك يرتقي
حريّة الأمصّار أنت حبيبة
عطفت على قلب المحب همومه
أمنيّة الشعبين أنت فضيلة
في كل يوم في المحافل سيرة
يا حبذا يوم الجمال وحبذا
يوم يعود به لنا استقلالنا
حتّام نحتمل المذلة طوعاً
نرجو الحياة وليس يجهل عالم
لا فاتنا عزّ الحياة ولا عدت
يا حبذا يوم يروح لنا به
وكفى محبك أنه يعقوب
فيها المنابر شاعرٌ وخطيبٌ
في حبها يُستعذب التعذيب
يكفي دلالك أيها المحبوب
تاقت إليك قبائلٌ وشعوبٌ
تُتلى وذكرٌ عن سناك ينوب
يوم الوصال وأجره المكسوب
ويُرَدُّ فيه حقنا المغصوب
ولنا بآفاق البلاد وثوب
أن الحياة مصائبٌ وخطوب
شعباً تذللّ به الحياة شعوب
هذا له نغمٌ وذاك طروب

روى سليم سركييس في مجلته عندما احتفى بالشاعر الكاظمي، إن الدكتور
شدودي تلا قصيدة مدح بها الشاعر المحنقى به، فلما فرغ من تلاوتها أجابه
الكاظمي مرتجلاً قصيدة كبرى من بحر القصيدة التي مدحه بها الطبيب شدودي.
ويقول سركييس: كنا أكثر من كاتب نسجل ما ينظم فلا نلحق به. فمن هذه القصيدة
قوله يخاطب الشاعر الطبيب:

أ ذكيت يا آسي العيون
أ ذكرتني عهد الشباب
فمن الرباع إلى اليفاع
ومن الخصور إلى النحو
حيث الهوى غرض تهز
والروض تصقل زهره
والسرب من عفر الطبا
ويقول فيها:

أ رأيت كيف العلم اطلع
ركبوا الهواء ومهدوا
وتناولوا هام السماء
من شموس لم تغيب
طرق الهواء لمن ركب
ومزقوا شمل السحب

باتوا وبات وليدهم في المهدي يهزأ بالنوب
فمن المهاد إلى النجاد إلى الطراد إلى الغلب
وممن الأديم إلى الغيوم إلى النجوم إلى القطب

وله من قصيدة في تحية الثورة العربية الكبرى:

لمعت بروقهم فقلت غوادي
قطعوا بها صلة القلوب ووصلوا
غرسوا القلى وتعهدوه بصيب
حتى نما ذاك القلاء فصوحت
هيهات ما عطف القلوب براجع
ضغن تأصل ليس يرجى قلعه
والداء إن بلغ الصميم فزرعه
أكلت أضالعهم لظى أحقادهم
قصرنا عن الحسنى فكان عدوهم
ونأوا عن البغيا وكان مرادهم
ملكوا العباب وأنكروا رشفاتنا
زادوا غرورا كلما زدناهم
فلكم تعلفنا برت جبالهم
ولكم فديناهم فكان جزاؤنا
أو ما كفاهم أننا نرضى بهم
مهما بذلنا في سبيل رضائهم
والمجد يأبى أن تذلل أنوفنا
قوم غراس الشر من عاداتهم
فكأنهم أخذوا على نطفاتهم
كل ابن باغية إذا جرذته
في صورة الإنسان لكن قلبه
قالوا التساوي والإخاء وقولهم
ألفوا الخداع فإن تحول قصدهم

وإذا بهن صوارم الأحقاد
فلذات صم في الخطوب صلاب
من نار كيد لا بصوب عهد
ليني الوداد خمائل الأوراد
يوماً ولا إشفاقها بمعاد
وقلى تغلغل عن قلى وعناد
هلك وإن عاجتة بحصاد
إذ لم تجذب بداً من الأزواد
للساطقين من الورى بالضاد
بالأكرمين العرب شر مراد
من صار الضحضاح والأثماد
نصحا تمخض عن صفاء ودا
كتعلق الأرواح بالأجساد
جرع المنون ولظة الأصفاد
كتكافؤ الأنداد للأنداد
لم يرضهم منا سوى استعباد
رغم العلامشيئة الأوغاد
يا شر خيم في الأصول وعاد
عهد الشرور تفيه في الميلا
ألفت فيه كل وحش عادي
في ساعة الرحمات قلب جماد
ما جف حتى جاء بالأضداد
يوماً فمن جور إلى استبداد

باغين ما برحوا على إغوائهم
وَلَوْ صَنَعْتَهُمْ عَلَيْنَا فِإِن يَرَوْا
بَاغِينَ حَطَّ مَنَائِرُ الْإِرْشَادِ
كُلُّ يَتِيمٍ بِظُلْمِهِ الْمُعْتَادِ

وله متغزلاً، وهي من شعره قبل هجرته:

وافتك ترفل في رفاق برود
يا قلب حسبك ما وليت من المها
مشمولة الأعطاف يهزأ قدها
تجلو المدام لنا وكل مدامة
تسي الغزالة والغزال إذا بدت
برزت فبرقعها العفاف وأقبلت
وتكلمت بالغنج من نعماتها
فضحت بمقلتها السيوف وأجملت
تبدو فتملاً كل عين بهجة
غيداء في غيد تتيه بدنها
ما للظباء الباهرات بحسنها
سلبت ببهجتها عقول ذوي الحجا
وترد رائدها بغلّة واله
واما ومبسمها الشهي لريقها
قنصت حشاي فرحت أنشد معجباً
فإذا بدت والشمس في كبد السما
غزيرة الحيين نار صبابتي
ان لم تزيدي فانقصي عني الجوى
أيامنا يلوى الأجارع عودي
هل بعد أيامي بمنعرج اللوى
ما بعد عهد اللهو في عصر الصبا
هيهات سمعي في هوى غيد المها
بالله ما فعلت بنا بيض الظبي
يا ليتني قضيت عمري كله
فمتى أرى تلك الثغار قريبة

هيفاء تبسم عن برود
من كل واضحة المباسم رود
إما تمايد بالغصون الميّد
لا تحلو إلا من يدي غريد
بسنا جبين واضح وبجيد
تحتال بين براقع وعقود
فغنيت عن لحن وعن تغريد
سمر القنا بقوامها الأملود
كالبدر لکن لم تنزل بمزيد
هَيْفَاءً عَلَى هَيْفِ الظَّبَاءِ الْغَيْدِ
حسن كباهر حسنها المشهود
ودعت جليد القوم غير جليد
ظمان عن عذب الردى مطرود
أشهى إليّ من ابنة العنقود
من علم الظبي اقتناص أسود
نظرت شمائلها بطرف حسود
في القلب لا تنفك ذات وقود
أو لم تكوني تنقيصه فزيدي
ليروق في عيني ويورق عودي
من ذاكر عهد اللوى فزروود
إلا التعلل بأدكار عهدود
ما نال من عدل ولا تفنيد
أفعال هاتيك اللحاظ السود
ما بين خمري وورد حدود
مني ومن تلك اللثاث وُرُودِ

ومتى يفى هذا الزمان بوعده وتلذ أجناني بطيب هجود

وله:

فكم قائل سر نحو مصر تر المنى وأنت على كل البلاد أمير
فقلت لهم والدمع مني مطلق أسير وقلبي بالعراق أسير

وأول ما نظم في مصر قصيدته التي يقول فيها:

ولما نقلنا للباخر رحلنا وعفنا المطايا وهي عجفاء ظلغ
هجمنا على جيش من الموج ضارب بزخاره نحو السما يترفع
يطالعنا من كل فج كأنه جبال شروري أقبلت تتقلع
ولما تبينت السويس وسار بي إلى النيل سيار من البرق أسرع
هرعت إليه ثانيا من حشاشتي وقلت لصحي هذه مصر فاهرعوا

وله في الإمامين الجوادين (عليهما السلام):

نمت حتى جلبت لي رقدتي طيف خيال
وكستني الفرح الدا ثم من غير زوال
وأنا لثني مالم يك مأمول المنال
وأرتني وصل ممي بعد صدّ ووصال
ببرزت تحتال في مشيبتها أي اختيال
غادة ترفل في السند س في المرط المذال
أقبلت في لفتة الريم ثم وفي عين الغزال
تنشني بين أسراب من الغيد حوالي
صحتي في يد من با ت ضجيعي واعستلالي
وشفائي سقم عينيه من الهداء العضال
بات يسقيني في فيه جرى الماء الزلال
يا سقى ليلتنا بالجزع وكفاف الغزال
نظم الأنس لي الشمل بما نظم اللاال
فسناها مالا عيني بالتهواني مستلالي
وشذاها فاضح منشو ر مطوي الغوالي
بينما كنت أرجي الـ نفس إبلاغ المعالي

وإذا بالبشـر يتلـو
قربت أيام سـعد
فغدا العيقوق تـري
أنا عضب وإلى العليـا
أنا بسّام لدى السلـم
أنا ممن دان إلى هيـم
فعلسى الغرّ حلـوي
راح ممن رام محلّـي
طرت فخراً حيث أضـحى
أنا مولى كل مولى
كل من لم يصل في حـب
لا أرى الغفران إلا
فهـم منجاي في المو
وهـم ذخري لدى كلـم
ألبسـوني حلـل العز
ورعـوني أبـد الدهـم
أي جيد عاطل بألـم
بهـم دوتّ بـذي الأيا
وبهـم نلت الأماني
لم تنل أقصر ما نلـم
إن خلا قلبي من النا
أو سلوت النفس والأهـم
خبـت إي والله يا مـن
أنت في قعر من النا
لهـم عندي إذا ما
لو بذلت العمر في بذ
وتوسـعت بأعمـا

عن يميني وشمالي
يا لأيام الوصال
وذرى الجوزا نعالـي
ولا الغيـد انسـلالـي
م قطوب في النزـال
سبته صيد الرجاـل
وعن الذلّ ارتحـال
طالباً أيّ محـال
للجـوادين مثـالي
ولهـم عبـد مـوال
بهم للنار صـال
بهم يوم السـؤال
قف من سوء فعـال
لـم ملـم ووبـال
ز وأبـراد الجـلال
ر بخـير متـوال
ففضل منهم غير حـال
م أحداث الليـالي
وتجاوزت منـالي
ت ذو الأيدي الطـوال
س فمنهم غير خـالي
ل فعنهم غير سـالي
لهـم غير مـوالي
ر على رغـمك صـالي
سـاء نطقـي ومقـالي
لهـم قل ابـتـذالي
ر الـورى ضـاق مجـالي

وله في رثاء محمود سامي البارودي:

كذا تطمئنّ النفس من نزعاتها
كذا تنفض الأرواح ثقل قيودها
كذا الراسيات الفؤود تندكُ سُئُها
كذا تغرب الأقمار في غيب السما
كذا سُنة الآجال لا متأجِرُ
كذا ينطوي (محمودُ) والشيب شاملُ
وإنَّ هلالاً غاب قبل أوانه
وربَّ هلالٍ غاب والبدر طالعُ
فما خلتُ أن الشبل والليث راصدُ
ويا ربَّ سربٍ آمنٍ في كناسه
فتنشب فيه للحتوف محالبُ
ولو أمهلتُهُ الحادثاتُ لأبصرتُ
ولكنها الآجال لا الشيبُ عندها
ذوى وهوى غصن الشباب ونجمه
أمنٌ بعد ما قرَّتْ به العينُ تنثني
لقد كان ملء العين حسناً وبهجةً
وقد كان مأمولاً به الخيرُ فانثني
يموت الفتى السنُّ للخير يُرثي
وكان كزهر الروض وهو مفتتحُ
فعداد ولا ذاك السننا منه يُجتلي
مُجاورُ محمودٍ مجاور أروع
حنانك يا محمودُ حياً وميتاً
سيحمد منك العطفَ (ابنُ حمادة)
ويأخذ من ذاك الحنان نصيبه
ففي ذمّة الأشجان من ظل باكباً
ألا إن يوماً فيه محمودٌ قد ثوى
لقد أحزن الأذنين إذ قيل راحلُ

وتأمن أحداث الزمان وتسلم
فتنجد في عرض الفضاء وتنتهم
وينهار منها محرمٌ ثم محرمُ
وترتد آفاق المنابر تُظلم
لديها إذا وافت ولا متقدمُ
ويقضي رفيقُ والشباب منعمُ
أعزُّ على العلياء منها وأكرمُ
يضيء به أفق العلا وهو مظلمُ
يقاد بأيدي النازلات ويخطمُ
يُراغُ وحاميه لدى الروع ضيغمُ
وتنفذ فيه للمقادير أسهمُ
جلائل أعمالٍ ثبتت وتبرمُ
تراعي ولا غصنُ الشبيبة يُرحمُ
فوجه سماء الروض أغبرُ أقتمُ
عليه دموع العين تمهي وتسجمُ
فأصبح ملء القلب والقلب مُضرمُ
على اليأس منه الناظر المتوسمُ
ومن ليس يُرجى عنده الخير يهرمُ
تضوع برتياه الصبا ومُكتمُ
وعدنا ولا تلك النسائم تنسمُ
أمين الحمى والروع يدهى ويدهمُ
ملاذٌ يجير الخائفين ومعصمُ
ولا الأب يكلاه ولا الأم ترأمُ
أخو رشياً يعنو إليك وينعمُ
وفي ذمّة الولدان من راح ييسمُ
ليومٌ على أهل الفضائل أشأمُ
كما أطرب النائين إذ قيل يقدمُ

يودّعه مُستعبراً كاظمئُها
فقام له في ظاهر الأرض ماتمّ

ويلقاه بالبِشر (الوليد) و(مسلم)
وقام له في باطن التُّرب موسم